

الغريزة

(١) أمثلة من الغرائز

- ٢ -

بقلم الدكتور على عبد الواهر وفى
أستاذ التربية وعلم النفس والاقتصاد السياسى بدار العلوم
وقسم التخصص بالأزهر

١٥ - غريزة الاسترقاق : - وهو استعداد فطرى يحمل الحيوان على استعباد غيره وتسخيره فى قضاء ما يحتاجه . وقد زود به شير من الحيوانات وعلى الأخص بعض فصائل من النمل أشهرها نوع يسمونه « الفور ميكاريفيسنس Formica Rufescence » يرجع الى الأستاذ « بيير هيبير P. Huper » الفضل فى الكشف عن هذه الغريزة لديه ، وإليك ملخص ما قاله فى هذا الصدد :

يوجد فى كل قرية من قرى هذا النوع طائفتان من النمل : الطائفة الأولى طائفة الأسياد ويتكون أفرادها من فصيلة « الفور ميكاريفيسنس » نفسها ، وتنقسم الى ثلاثة أقسام : الاناث المنتجة والذكور الملقحة والاناث العقم المقاتلة ؛ والطائفة الثانية طائفة الأرقاء التى يتكون أفرادها من فصيلة تسمى « الفور ميكافيسكا Formica Fusca » تختلف اختلافا كبيرا فى لونها وفى حجمها عن فصيلة أسيادها « الفور ميكاريفيسنس » (يعيش كثير من جماعات الفور ميكافيسكا فى قرى مستقلة غير خاضعة لأى سلطان أجنبى ، وفى هذه الحالة يوجد فيها ذكور ملقحة وإناث منتجة

ولكنها في حالة رقها وخضوعها للفورميكاريفيسنس تصاب ذكورها وإناثها بالعقم).

أما الإناث المنتجة فلا عمل لها إلا تلقي اللقاح ووضع البيض؛ وأما الذكور الملقحة فلا عمل لها كذلك إلا الإلقاح؛ وأما الإناث العقم المقاتلة فلا تقوم بأى عمل غير الغزو والحصول على الأرقاء كلما دعت الحاجة، وذلك بأن تغير على قرية من قرى «الفورميكا فيسكا» المستقلة وتسلب ما تجده في هذه القرية من البيض وتحمله إلى أحجارها حيث يفقس ويصبح نتاجه من طائفة الخاضعين؛ وأما الأرقاء فتقوم وحدها بكل الأعمال اللازمة للقرية وما فيها كحفر الأحجار وبناء الخلايا اللازمة للبيض، وحراسة القرية والزود عنها، وتعد ما تضعه الإناث المنتجات من البيض، وتربية ما يخرج منه من الديدان، وجلب الغذاء وإدخاله وإطعام أسيادها الكبار أنفسها بأن تضع القوات في أفواهها، وإذا دعت الحاجة إلى تغيير القرية لعدم صلاحيتها مثلاً فالأرقاء وحدها هي التي تقوم بتخطيط القرية الجديدة وتنظيمها وحفر الأحجار فيها ونقل أسيادها إليها، فترى كل رقيق حامل في فمه سيده من أسياده ولا يزال يعدو به حتى يضعه في مكان من القرية الجديدة مقابل للمكان الذي كان به في القرية القديمة. الخ. وقد لاحظ الأستاذ «بيرهور» أنه لو تجردت قرية من قرى «الفورميكا فيسنس» من الأرقاء لفنى أفرادها في زمن وجيز. وأثبت ذلك بتجربة أجراها بأن ترك طائفة من الفورميكا فيسنس في قرية من قرأها بدون أرقاء، فعلى الرغم من أن هذه القرية كان بها كمية كبيرة من القوات المدخر الذي يثير وجوده غريزة طلب الغذاء، وطائفة من البيض، من الصغار التي يثير وجودها غريزة الأبوة لدى الكبار، فإن هذه لم تبد حراكاً ولم تقم بأى عمل نحو بيضها وصغارها ولم تستطع

حتى اطعام نفسها بنفسها فبات أكثرها جوعاً والقوت بين يديه وقى معظم الصغار . وحينئذ أدخل الأستاذ هوبير رقيقاً واحداً من الأرقاء التي كان قد انتزعها من القرية ، فطفق هذا الرقيق من قوره يعمل على تنظيم القرية . واسعاف ما بقى فيها من أسباده على قيد الحياة ، فحمل القوت للكبار ووضعها في أفواهها وتعد الصغار ، وأخذ يبنى الخلايا . يصلح ما تهدم منها ، وهكذا لم يمض وقت طويل حتى دبت الحياة في القرية وعاد كل شيء فيها سيرته الأولى بفضل هذا الرقيق .

ولا يخفى ما للغريزة الاسترقاق هذه من الاتصال بغريزة طلب الغذاء . ١٦ - غريزة الخضوع للغير - وهي الغريزة المقابلة للغريزة السابقة ، فهي استعداد يحمل الحيوان على الخضوع للغير وخدمته وقضاء حاجياته ، وتوجد لدى طائفة كبيرة من الحيوانات الداجنة (الكلب ، الحصان ، الحمار ، البقر . . . الخ) : « وذللتها لهم فنها ركوبهم ومنها يأكلون » . وتوجد كذلك لدى طوائف أخرى من الحيوانات غير المستأنسة ومن الحشرات . وقد تبين لك بما قلناه في غريزة الاسترقاق أن غريزة الخضوع هذه قد بلغت أقصى ما يمكن أن تبلغه لدى « الفورميكا فيسكا » التي تتخذها أفراد « الفورميكا ريفيسنس » بمثابة أرقاء .

١٧ - غريزة العطف على الأجنبي - يوجد العطف على الأجنبي بشكل غريزي عند كثير من طوائف الحيوانات أشهرها مايلي :

١ - النمل ، الذي زودت بعض طوائفه باستعداد فطري يحملها على أن تقوى لديها أصنافاً معينة من الحشرات ذات الغرائز الطفيلية التي لا يمكنها أن تعيش إلا بمجهود غيرها ، ويدفعها إلى القيام بكل ما يلزم لحياة هذه الحشرات الأجنبية عنها التي لا تمت إلا فصيلتها بأية صلة . ومن الغريب أن كثيراً من هذه الحشرات لا تكفى بما يحمله لها كبار

النمل من القوت بل تسطو على صغاره وتفترسها، وهكذا لا يمضى على القرية التى حلت فيها زمن يسير حتى تبعد ويفنى ما فيها (ويرجع إلى الأستاذ واسمان « E. wasmann » الألمانى الفضل فى الكشف عن هذه الغريزة).

ب - « اليسرون » (صنف من البعوض يعكف على النباتات)
الذى لاحظ العلامة « هوير » وجود هذه الغريزة عند بعض أنواعه ونقل ذلك عنه « دارون » فى كتابه « أصول الأنواع » بعد أن أثبتته بالتجارب ، حيث قال مامانخسه : « يحيط باليسرون طائفة من النمل تخزه وخزات خفيفة بخراطيمها فيفرز لها سائلا خاصاً تتغذى به . وقد ثبت لى أن هذا العمل غريزى وأن اليسرون لا يقوم به إلا مع النمل . فقد أبعدت مرة طائفة من النمل كانت تحيط بنحو اثنتى عشرة بعوضة من هذا الصنف فوق شجيرة من الشجيرات ، ولم أَدعْ أى نملة جديدة تدنو منها فى أثناء بضع ساعات . فلاحظت أن البعوض قد أحجم طول هذه المدة إجماعاً تاماً عن الإفراز وعبثاً حاولت إثارة إفرازها بطريقة شبيهة بالطريقة التى يسلكها معها النمل . فقد عمدت إلى شعرة دقيقة وأخذت أداعب بها بطونها كما تفعل معها النمل بخراطيمها مستعينا فى عمل هذا بمنظار معظم . ولكنها ، على الرغم من ذلك وعلى الرغم من مضى مدة طويلة تحتاج بعدها للإفراز ، أبت إلا التماهى فى الإجماع . وحينئذ تركت نملة واحدة تدنو منها . فأخذت هذه النملة تحز كل بعوضة منها بخرطومها وما هى إلا فينة يسيرة حتى طفق البعوض كله يفرز سائله السكرى وأخذت النملة تمتصه بنهم شديد .

هذا ، ولا يخفى ما لهذه الغريزة فى جميع مظاهرها من الصلة بالغريزة السابقة (غريزة الخضوع للغير) .

١٨ - غريزة الاجتماع - وهى عبارة عن ميل فطرى مزودة به

طائفة من الحيوانات العليا والحشرات والطيور (الإنسان ، الفيل ، القردة ، الأنعام ، النحل ، النمل ، الدجاج ، النعام ، البجع . . .) يحمل كل فرد من أفرادها على طلب العيش وسط جماعة من طائفته وعلى الاندماج فيها وعلى القيام بأعمال من شأنها ، حمايتها وإصلاح شأنها . ولا يخفى مال هذه الغريزة من الصلة بغريزة طاب الغذاء .

١٩ - غريزة الملكية والاستئثار - قد زودت طائفة كبيرة من

الحيوانات (منها الإنسان) باستعداد فطرى يحملها على اعتبار كل شئ نافع لها من الأشياء التى تعثر عليها أو يكون لمجهودها أثر فى إيجادها بمثابة ملك خاص بها تستأثر به وتزود عنه وتمنع الغير أن تمتد يده إليه . وتظهر هذه الغريزة بشكل جلى فيما يتعلق بأغذية الحيوان ومنازله . فترى الحيوانات آكلة اللحوم يأخذ منها الغضب كل مأخذ إذا حاول حيوان آخر مشاركتها فى فريستها أو أخذها منها فتصول وتزأر وإذا لم تستطع دفع المعتدى فرت هاربة بفريستها ؛ وترى الهرة تدفعك بكل ما أوتيت من قوة إذا حاولت أن تأخذ منها قطعة لحم ولو ننت أنت الذى أعطيتها إياها . وترى الطفل الإنسانى نفسه ، ولما يتجاوز طفولته الأولى ، يسلك نفس السلوك حيال كل من يحاول أخذ غذاء من يده أو الاستيلاء على لعبة من لعبه أو على هنة من الهنات التى يعتبرها ملكه الخاص ولو كان أقرب الناس إليه . وترى صغار كثير من الحيوانات الثديية ، وهى لم تمتنع بعد نعمة البصر ، يدفع كل منها الآخر عن ثدى أمه ليستأثر هو بالغذاء ، ويشترك معها فى هذا المعنى صغار كثير من الطيور التى يطعمها أبواها (ولهذه الغريزة مظهر غريب لدى أفراخ الكوكو تكلمنا عنه فى نهاية كلامنا عن غريزة وضع البيض فى أعشاش الغير . - انظر رقم ٨) .

وترى الديك القوى يدفع الديكة الضعيفة عن الطعام محاولاً أن يستأثر به لنفسه ولدجاجاته . . . ؛ وترى معظم الحيوانات والطيور تذود عن عرينها وأجحارها وأعشاشها ومنازلها وقرارها بوسائل خاصة فطرت عليها . سنة الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

ويلطف هذه الغريزة في كثير من المواقف غرائز أخرى أهمها غريزة الأبوة والغريزة الجنسية وغريزة الخضوع للغير وغريزة العطف على الأجنبي والغريزة الاجتماعية (انظر ٣ ، ٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨) .
ولا يخفى ماهذه الغريزة من الاتصال بغريزتي طلب الغذاء والخطر (أنظر ٢٠ ، ١) .

(٢٠) — غريزة المهاجرة — زودت طائفة كبيرة من الطيور باستعداد فطري يحملها ، عند حلول بعض فصول السنة ، على الهجرة إلى اقليم أكثر ملاءمة لحياتها ولغذائها ولما يتطلبه تكوينها الجسمي من الاقليم الذي قضت فيه الفصل السابق . ومن هذه الطيور الجراد (وقد هاجرت طوائف منه إلى مصر أكثر من مرة وسيبت هجرتها خسارات فادحة للمحصولات الزراعية) وما يسميه العامة بأبي فصادة وبعضهم بالنبي اللذين يهاجران إلى مصر في فصل الربيع وما يسميه الفرنجة بالكدكد وهو كثير المهاجرة .

وهذه الغريزة كالتى قبلها متصلة اتصالاً وثيقاً بغريزتي الغذاء والخطر

(٢١) — غريزة الاستئناس والتوحش — تطلق كلمة المستأنس

على كل حيوان لا ينفر من الإنسان ويميل إلى العيش معه ، والمتوحش على كل حيوان ينفر منه ، يرهبه . وقد قرر الأستاذ ولیم جس ، أن طائفة كبيرة من الحيوانات تولد مزودة بغريزة الاستئناس أو على الأقل مجردة من غريزة التوحش . ولكن هذا الاستعداد إن لم يتعمد من وقت الولادة

ويُعَوِّذُ صاحبه الاختلاط بالنوع الانساني لا يلبث أن يتلاشى وتحل محله غريزة التوحش والنفور من الانسان ولو كان الحيوان من فصيلة الدواجن وإذا ذاك يصعب ارجاعه إلى فطرة الاستئناس الأولى وبخاصة إذا كانت كباره متوحشة.

ولا يخفى ماهذه الغريزة من العلاقة بغريزتي الغذاء والخطر.

(٢٢) — غريزة التشكل والتلون: — وهي استعداد فطري يحمل

الحيوان على تغيير لونه أو شكله في بعض الفصول أو في بعض المواقف أو عند شعوره بانفعالات خاصة .. الخ ، مستعينا في ذلك بخواص طبيعية في تركيبه الجسمي أو بأشياء خارجة عن جسمه . وقد زود بهذا الاستعداد الغريزي كثير من الحيوانات والحشرات نجتزئ بأن نذكر منها مايلي :

١ — الحرباء ، التي قد ذهب لونها بلون المكان الذي تحل فيه مضرباً

للأمثال .

ب — بعض فصائل الكراب (حيوان بحري صغير) التي تلتصق

بظهرها وبأرجلها بعض أعشاب من نبات بحري يسمى الألبج « Algue »

لدرجة تلتبس معها بذلك النبات فتضل الناظر إليها .

ولا يخفى أن هذه الغريزة متصلة في معظم مظاهرها بغريزة الخطر

(انظر رقم ٢)

٢٣ — غريزة حب الاطلاع: — وهي استعداد فطري يحمل

الانسان وبعض أنواع الحيوان إلى الاقتراب من الشيء الغريب أو الجديد

أو غير المألوف لاختباره ومعرفته والتحقق منه والحكم عليه .

(م ٩ — صحيفة دار العلوم)

ولهذه الغريزة اتصال وثيق في أصلها بغريزتي طلب الغذاء والخطر
(انظر ٢٠١).

٢٤ — غريزة الحل والتركيب : — يولع الطفل الانساني في دور
من أدوار طفولته بتحطيم معظم الأشياء التي تصل إليها يده وبتحليلها إلى
أجزائها ثم بترسيها وإرجاعها إلى ما كانت عليه مجيئاً بذلك داعي غريزة
يطلق عليها بعضهم غريزة الحل والتركيب وبعضهم غريزة التجربة، وإن
هي في الواقع إلا مظهر من مظاهر غريزة حب الاطلاع السابق ذكرها.
٢٥ — غريزة حب الظهور : — ويسمونها بعضهم بغريزة حب التسلط

أو حب السيطرة. وهي ميل فطري يحمل الحيوان على أن يدل بقواه
الجسمية أو النفسية على محاولة السيطرة على غيره، وتلازم الانسان في
كل أدوار حياته، وتوجد كذلك عند طائفة من الحيوانات العليا والطيور،
فترى الحصان مثلاً يتظاهر بقوة عضلاته، فيقف على الرأس مقوس
الرقبة شامخ الأنف، وإذا سار مع غيره قويت حركته وظهرت رغبته
في سبقه، وترى الكلب الكبير يتظاهر أحياناً بالقوة أمام الكلاب الصغيرة،
والدجاجة تتبختر في مشيتها أمام أفراسها، والديك تبدو عليه مظاهر
العجب بجسمه وريشه وصوته أمام دجاجاته؛ وذكر الحمام أمام أنثاه.
وهلم جرا. وواضح أن الحيوانات والطيور لا تشعر بالفخر الذي
تتضمنه هذه الغريزة.

ولا يخفى ما لهذه الغريزة في كثير من مظاهرها من الصلة بالغريزة
الجنسية (انظر ٣).

٢٦ — غريزة تنظيف الجسم وتنظيم ما عليه من شعر أو ريش :

توجد هذه الغريزة لدى جل الطيور فترى صغارها نفسها وهي لا تزاله
في عشاها تقوم بتنظيم ريشها وتنقيته مما عسى أن يكون عالقاً به من مواد

أجنبية أو حيوانات طفيلية مستعينة في ذلك بمنقارها ، وتقوم بهذا العملية بشكل فطري غريزي ، بدليل أنها تؤذيها ولو لم تر أحداً من كبارها يعملها أمامها . وتبالغ فصائل كثيرة من الطيور في العناية بالنظافة ، فتميل بغريزتها إلى الاستحمام برش الماء على ريشها ونفضه (ومن هذه الفصائل الحمام واليمام وما إليهما) . وتوجد هذه الغريزة كذلك عند كثير من الحيوانات الثديية كالقطط التي تقضى شطراً كبيراً من وقتها في لعق جسمها وتنظيفه بلعابها .

ولا يخفى ما لهذه الغريزة من الصلة بالغريزة السابقة .

٢٧ — غريزة السباحة : — وقد زود بها ، كما هو مشاهد ، كثير من طوائف الحيوانات والطيور ، فترى البطّة الصغيرة بمجرد خروجها من البيضة تسبح في الماء بمهارة لا تقل مطلقاً عن مهارة كبارها ، ولو لم تر من قبل أحداً منها يقوم أمامها بهذه الحركات .

٢٨ — غريزة الغناء : — وقد زودت بها طوائف كثيرة من الطيور داجنها ووحشيتها . وتبدو مظاهرها لديها في فصول معينة أو في مواقف خاصة أو تحت تأثير بعض الحالات الجسمية أو النفسية .

